المستكشف الصغير

قاهرو قمّة ايفرست



قاهرو قمّة
ايفرست





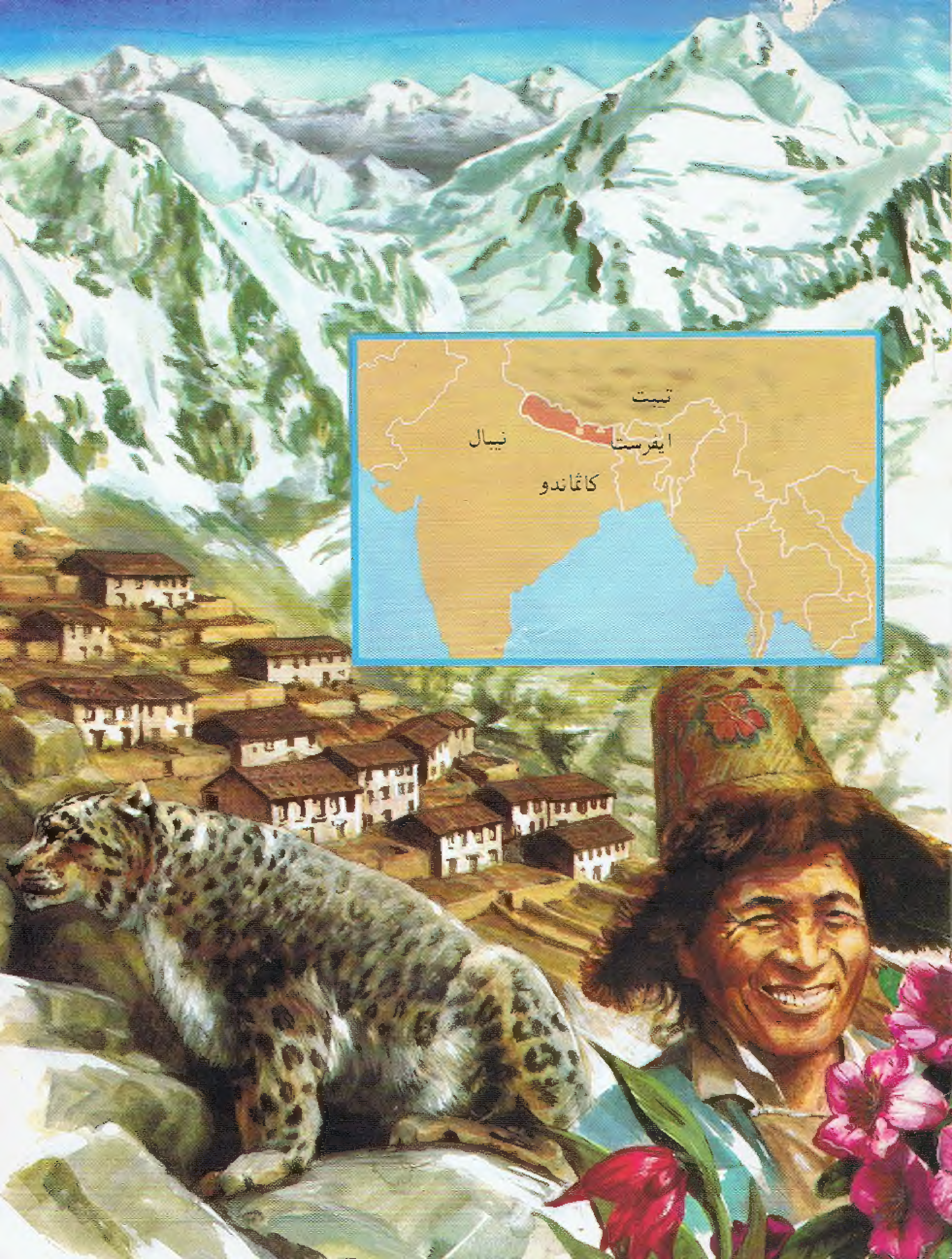
سَقْفُ العَالَم

يقعُ سقفُ العالَمِ في موقعٍ بين سهولِ التيبت التي تعصفُ بها الرياحُ، وبين وديانِ نيبال الجبليّةِ السحيقةِ.... هنا، حيثُ ترتفعُ جبالُ هملايا التي يسمّونَها «أرضَ الثلوج»، تعلو قمةُ ايڤرست فوقَ جميعِ القمَمِ العاليةِ على ارتفاع ٨٨٤٨ م. وهي أعلى نقطةٍ على سطحِ الأرضِ. ترتفعُ ايڤرستُ الآنَ فوقَ السّحابِ في مكانٍ كانَ في الماضي الغابرِ بحراً كبيراً. وتشكّلتِ الجبالُ منذُ حوالي ٧ الى ٢٥ مليون سنةٍ، عندما تحرّكتْ شبهُ القارةِ الهنديةِ نحوَ الشمالِ لتتصادَمَ مَعَ التيبت. وما زالتْ جبالُ الهملايا ترتفعُ باستمرارٍ بسببِ الضّغطِ الهائلِ الذي تتعرّضُ له الصخورُ تحتَ الأرضِ. يغطي الثلجُ والجليدُ المنحدراتِ الصخريةَ حيثُ المَجْلداتُ تتحرّكُ ببطءٍ وتسحقُ كل ما يعترضُ مسيرتَها نحوَ الوديانِ البعيدةِ حيث النباتاتُ والحيواناتُ تستطيعُ أن تعيشَ وتقاومَ الطقسَ والأنواءَ.

يعيشُ الشيربا في وادي خامبو في فيء قِمّةِ ايڤرست، وهم قومٌ جبليون اعتادوا الحياةَ في المرتفعاتِ، ويقدّمونَ مساعداتٍ كبيرةً للمتسلّقينَ أمثالِ أدموند هيلاري، ويقومونَ بمهامِّ الدليلِ والحمّالِ. ويستطيعُ الشيربيون أن يسيروا على الطرقاتِ الجبليّةِ الملتويةِ ساعاتٍ طويلةً بلا تَعَبٍ، ويعيشونَ على زراعةِ محاصيلِ البطاطا والذّرةِ، كما يربُّون قطعانَ الياك، وهي ثيرانٌ جبليةٌ تعيشُ في الهملايا. يعتنقُ الشيربيون المذهبَ البوذيَّ ويُرحبونَ بالمسافرينَ في أعالي الجبالِ في أديرَتِهم حيثُ تدورُ دواليبُ الصلاةِ دائماً مع الريحِ، كما تخفقُ أعلامُ الصلاةِ على الأعمدةِ العاليةِ. حَدَّثَ الشيربيونَ هيلاري وزملاءَهُ المتسلّقينَ عن اليتي، وهوَ مخلوقٌ غامضٌ يقالُ انَّ شكلَهُ كالقردِ الكبيرِ الغزيرِ الشّعرِ ولكنْ لم يتوفرْ أيُّ دليلٍ على وجودهِ الفعلي.



يبني الشيربيونَ بيوتَهم متلاصقةً في الوديانِ، تحيطُ بها حقولٌ مصطبة. وأما الياك وفهودُ الثلجِ فتحميها معاطفُها السميكةُ من البردِ القارسِ.


تبت
ایفرسٹ
نیپال
کاٹھاندو

حدّدَ المسؤولون عن المساحةِ في الهندِ موقعَ قِمَّة ايڤرست على الخارطةِ في عام ١٨٤٩.



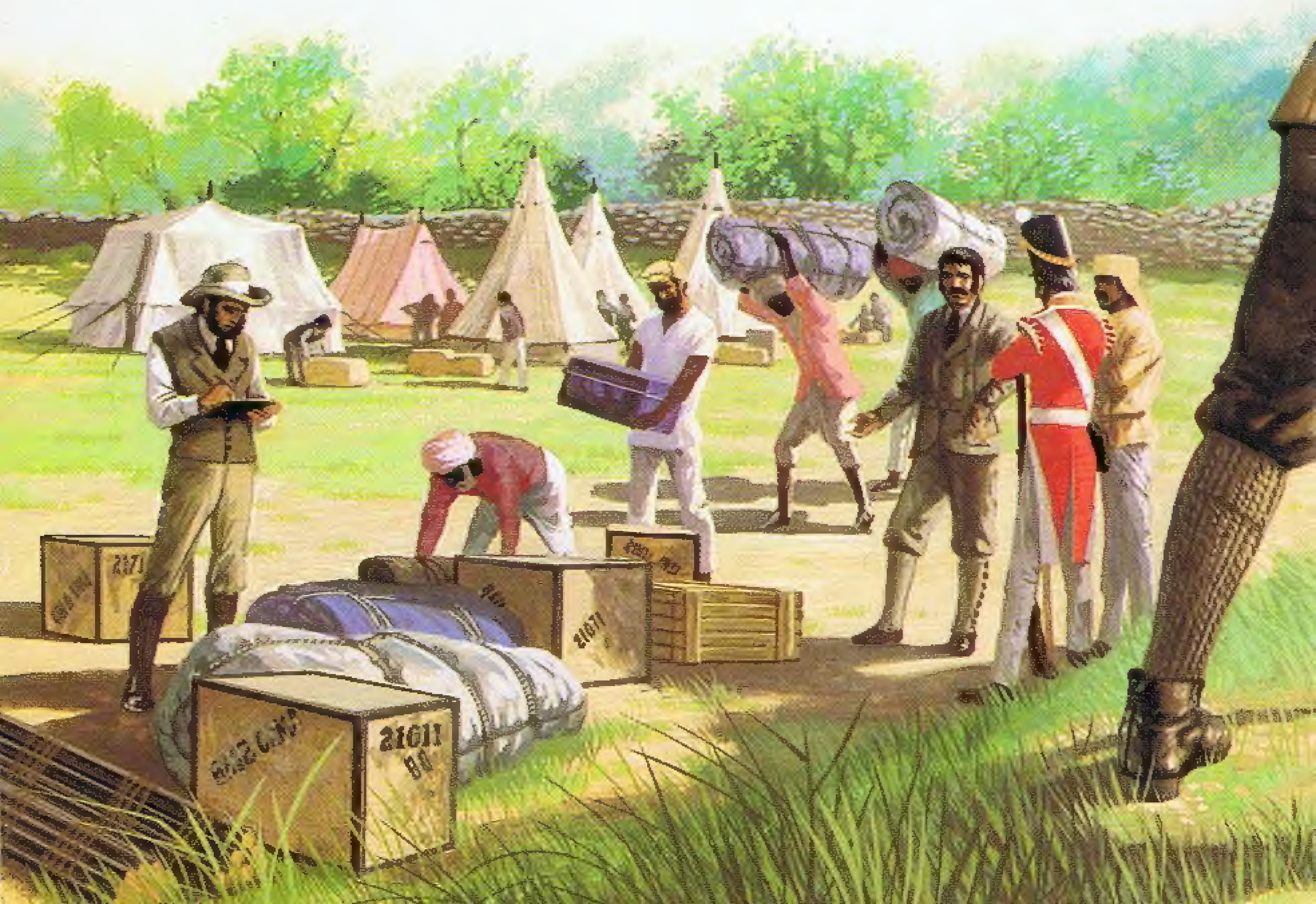
كومولونغما

لم تكنْ مناطقُ الهملايا معروفةً للعالَمِ الخارجي قبلَ عامِ ١٨٥٠ إذْ لم يُقْدِمْ سوى قلّةٍ من الأوربيين على تكبُّدِ عَنَاءِ السَّفرِ الى التيبت ونيبال المخبأتين وراءَ جدارٍ منَ الجبالِ. كانتِ الهندُ في ذلك الوقتِ جزءاً من الامبراطوريةِ البريطانيةِ. وكانتِ الحكومةُ البريطانيةُ حريصةً على معرفةِ مساحةِ الهندِ الحقيقيّةِ فأسندتْ تلكَ المهمةَ الى جورج ايڤرست المسؤول العامِ عن المساحةِ. وسافرَ فريقٌ من المسّاحينَ عَبرَ الهند، يعتمدونَ على علمِ المثلّثاتِ في قياساتهم. وعندما توغّلوا على سفوحِ الهملايا رأوا على البعدِ مجموعةً من قِمَمِ الجبالِ مكلّلةً بالضبابِ.

لم يقتربْ فريقُ المسّاحينَ أكثرَ من ١٥٠ كيلو متراً، ولكنّهم كانوا على يقينٍ بأنَّ هذه أعلى جبالٍ شاهدُوها، فباشَروا بحساباتِهم وقد أخذَ منهم الحماسُ كلَّ مأخذٍ، ولم يصدّقوا أعينهم، ولكنْ كانتْ هذه هي الحقيقةُ، لقد كانَ ارتفاعُ أعلى قمةٍ أكثرَ من ٨٨٠٠ م. استجوبَ المسّاحونَ السكانَ المحلّيينَ فأخبروهم بالأسْماءِ التيبتيةِ للجبالِ: تشانغتسي وخومبوتسي ونوبوتسي ولوتسي، وأعظمُها جميعاً كومولونغما (أم آلهة العالم). في البداية أطلقَ على الجبلِ الجديدِ اسمُ القمةِ رقم ١٥ ولكنْ في عام ١٨٦٣ لقّبتْ بِقمّةِ ايڤرست وقدّر ارتفاعها بـ ٨٨٤٠ م. ولكنْ أثبتَتِ القياساتُ فيما بعدُ أنَّ ارتفاعَها ٢٩٠٢٨ قدماً أو ٨٨٤٨ م وهي دونَ أيِّ جدلٍ أعلى جبلٍ في العالمِ.

ولم يفكرْ أحدٌ إذْ ذاكَ بتسلّقِ ايڤرستْ لأنَّ رياضةَ تسلّقِ الجبالِ كانتْ في بدايتِها، وفي عام ١٨٦٥ هزَمَ ادوارد ويمبر (١٨٤٠ - ١٩١١) قمّةَ ماترهورن (٤٤٧٧ م) في جبالِ الألبِ السويسريةِ. ومضى ليكتشفَ جبالَ الأنديز في أميركا الجنوبيةِ. وفي عام ١٨٨٠ تسلّقَ قمّةَ تشيمبورازو (٦٣١٠ م). درسَ ويمبر آثارَ «دوار الجبل» في الارتفاعاتِ الشاهقةِ، وكان رائداً في العديدِ من طرقِ تسلّقِ الجبالِ.

وهُزِمَتْ القِمَمُ الأوروبيةُ واحدةٌ في إثرِ أخرى وبدأ المتسلّقونَ يتطلّعون بشوقٍ وتحدٍّ نحوَ الهملايا البعيدةِ وجبلِ كومولونغما الغامض.





هذا هو التحدّي الذي يواجهُ الأشخاصَ الذين يضعُهم طموحهُم في مواجهةِ أعلى جبلٍ في العالم.

طرقتْ بعثةٌ عامِ ١٩٥٣ الطريقَ الجنوبيَّ أي طريقَ المنحدرِ الجليدي، فالتسلّقُ من الوجهِ الجنوبي الغربي أكثرُ خطورةً.

التحدّي

إنَّ تسلّقَ قِمّةِ ايفرست أمرٌ صعبٌ وخطرٌ، إذْ يتوجَّبُ على المتسلِّقِ أن يتغلّبَ على الثلجِ المتراكمِ والصدوعِ العميقةِ وجدرانِ الصقيعِ ووجهِ الصخرِ العاري العمودي. كما كانَ عليه مواجهة أخطارِ الإرتفاعِ واشتهاء لحظةٍ من الطقسِ الجيِّدِ. يصبحُ التنفُّسُ صعباً على ارتفاعٍ يزيدُ على ٦٤٠٠ م وتتطلّبُ كلُّ خُطوةٍ جهداً مؤلماً، فتسلُّقُ ارتفاعاتٍ كهذه يرهقُ المتسلّقَ بسرعةٍ، كما يصبحُ التفكيرُ السليمُ أمراً شاقاً.

وخلالَ الشتاء، من تشرين الثاني الى آذار، تعصفُ الرياحُ الثلجيّةُ حولَ ايفرست وتنحدرُ شلالاتٌ من الثلجِ من القمّةِ وتتحطّمُ المَجْلداتُ أسفلَ الجبال. وفي أوائلِ الصيفِ تحملُ الرياحُ الموسميّةُ العواصفَ الثلجيّةَ العنيفةَ الى الهملايا، ولا يستطيعُ المتسلّقونَ المقامرةَ بالاقترابِ منْ ايفرست إلاّ قبلَ أو بعدَ الرياحِ الموسميةِ مباشرةً.

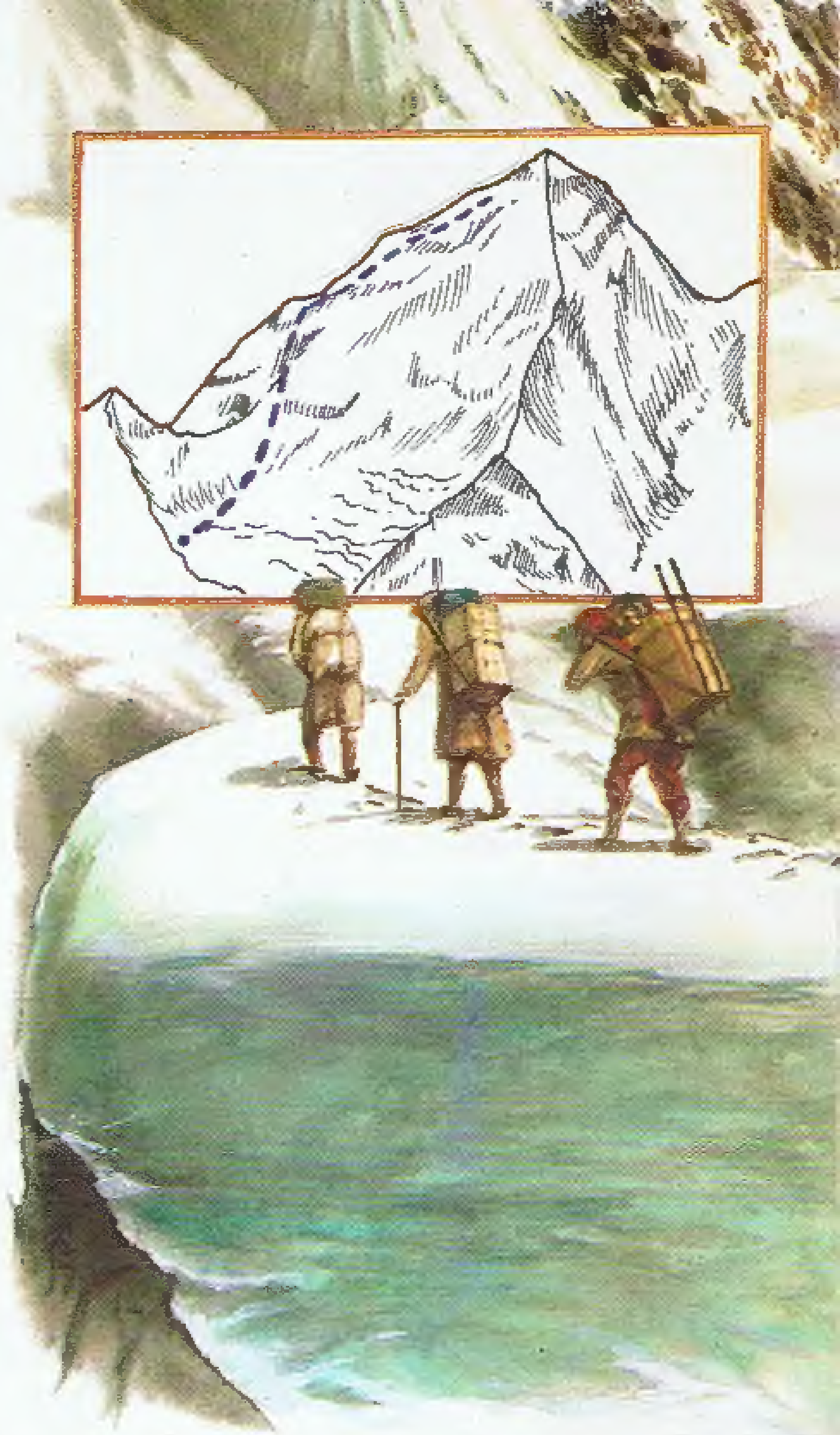
يمكنُ الوصولُ الى ايفرست من ناحيةِ الشمال عن طريقِ التيبت بمحاولةِ تسلُّقِ سلسلةِ الجبالِ الشماليةِ الشرقيةِ. ولكنَّ معظمَ البعثاتِ الحديثةِ لجأتْ الى الطريقِ الجنوبي، طريق نيبال، وهو طريقٌ يُؤدّي الى مَجْلَدةِ الخومبو والى المنحدراتِ الجليديّةِ.

يسدُّ الطريقَ تحتَ الوادي المسمّى الكم الغربي صدعٌ عمقُهُ ٦٠٠ م، ويسمّى المنحدَرُ الجليدي، وهو شلالٌ غدارٌ من القطعِ الجليديةِ التي تنزلقُ باستمرارٍ تاركةً مكانَها صدوعاً واسعةً.

تأتي وراءَ المنحدر الجليدي منحدراتٌ ثلجيةٌ واسعةٌ تؤدي الى الجدار الجليدي لوجهِ اللوتسي. وتتربّعُ فوقَ الجدارِ النقطةُ المعروفةُ باسمِ المضيقِ الجنوبي (٧٩٠٠ م) ويمرُّ الطريقُ الذي يؤدّي الى القِمّةِ بمحاذاةِ ثلوجِ سلسلةِ الجبالِ الجنوبيةِ الشرقيةِ تحفُّ به من الجانبين منحدراتٌ عمقُها آلافُ الأمتار.







وصل المتسلّقونَ الأوائلُ إلى ارتفاعاتٍ شاهقةٍ بمعداتٍ محدودةٍ.

المحاولاتُ الأولى

مضتْ عدةُ سنواتٍ على اكتشافِ ايفرست ولم تكنْ التيبتْ أو نيبال لتسمحَ لأيِّ غريبٍ بالاقترابِ من الجبلِ. وأخيراً قرّرَ الدلاي لاما حاكمُ التيبت البوذي في عام ١٩٢١ السماحَ للبعثةِ البريطانيةِ.

فأرسلتْ مجموعةَ آستكشافٍ من نادي الألب والجمعيةِ الجغرافيةِ الملكيةِ لتدرسَ إمكانيةَ تسلّقِ الجبلِ وتختارَ الطريقَ الأفضلَ.

إنطلقَ المكتشفونَ من دارجيلينغ في شمال الهند وقطعوا الممراتِ الجبليةَ الى التيبت وحملوا معداتِهم في البدايةِ على الأحصنةِ والياك، ولكنْ عندما اقتربُوا من القمَّةِ استأجرُوا حمّالينَ محلّيينَ معتادينَ على الارتفاعاتِ العاليةِ، وسرعانَ ما أثبتُوا قدراتِهم الجيّدةَ، فحملَ كلُّ حمّالٍ رزمةً تزنُ ٣٠ كلغ ببشاشةٍ بينما كان البريطانيون يقاسونَ الأمرّين لتكييفِ أجسامِهم مع قلّةِ الهواء.

يمتدُّ الطريقُ الشمالي فوقَ مَجْلَدةِ رونغ باك. أصبحَ الصقيعُ خطراً حقيقياً، ولكن آستطاع ثلاثةٌ من الكشّافةِ التسلّقَ الى رعن على كتفِ الجبلِ. واستطاعوا من موقعِهم ذاك الذي أسمُوه المضيقَ الشمالي أن يروا ما بدا لهم طريقاً آمنةً الى القمّةِ.

وفي عام ١٩٢٢ غادرتْ بريطانيا حملةٌ كبيرةٌ بقيادةِ العميدِ تشارلز بروس. كان أعضاء الحملة أكثرَ ثقةً بالنجاحِ فقدْ قرّروا استعمالَ أجهزةِ تنفّسٍ أكسجين للتغلّبِ على مصاعبِ الارتفاعِ.

كانت البدايةُ جيّدةً إذ بنوا خمسةَ مخيماتٍ، ولم يبقَ بينَ المتسلّقينَ والقمةِ سوى ٦٠٠ م، ولكنّ الرياحَ القويّةَ والبردَ والصقيعَ والتعبَ أجبرتْهم على العودةِ، والأسوأ من كلِّ هذا أنْ بدأتِ الرياحُ الموسميّةُ وهمْ على آرتفاعٍ عالٍ في الجبل، فسقطَ الثلجُ بغزارةٍ وقضى سبعةٌ من الشيربا نحبَهم عندما انهارتْ كتلةٌ ضخمةٌ من الثلجِ من المضيقِ الشمالي.

أمامَ تردّي الأحوالِ الجوّيةِ لم يبقَ أمامَ حملةِ ١٩٢٢ سوى العودةِ من حيثُ أتتْ، وأثبتتِ النهايةُ المأساويةُ لتلكَ المحاولةِ أنَّ ايفرست لنْ تهزمَ بسهولةٍ.



سرّ عام ١٩٢٤

بقيتِ الآمالُ عاليةً حولَ إمكانيةِ تَسلُّقِ ايفرست، وانضمَّ العديدُ من أعضاءِ حملةِ عامِ ١٩٢٢ الى الفريقِ البريطاني الذي عادَ ليتحدّى الجبلَ عام ١٩٢٤. وكانوا على ثقةٍ بأنهم سيتمكنونَ بمساعدةِ الأكسجين من الصعودِ من المضيقِ الشمالي الى القِمّةِ عن طريقِ سلسلةِ الجبالِ الشماليةِ الشرقيةِ. ولم يكنْ يعوزُهم سوى مساعدةِ الطقسِ. ولكنْ لم يكنِ الحظُّ حليفَ حملةِ عامِ ١٩٢٤، إذْ مرضَ العميدُ بروس واضطرَّ الى العودةِ. كانَ الطقسُ قاسياً والثلجُ والرياحُ العاتيةُ أجبرا جميعَ أعضاءِ الفريقِ على النزولِ عنِ الجبلِ تاركينَ الخيّماتِ العاليةَ. وعادوا مرةً أخرى فحاولوا تسلُّقَ المضيقِ الشمالي واستطاعوا إقامةَ الخيّمين ٥ و٦ فوقَه. وفوجىء المتسلِّقونَ برؤيةِ طيورِ الزّمّت (وهي طيورٌ من عائلةِ الغراب) على ذلك الارتفاع.

وجدَ المتسلقونَ الطريقَ بمحاذاةِ السلسلةِ الشماليةِ الشرقيةِ أصعَبَ مما كانوا يظنّون، إذ صادفهم صدعان خطران جداً، ولتفادي هذه العقباتِ قامَ قائدُ الحملةِ الجديدُ الماجورُ نورتون برفقةِ هوغ سومرفيل بقطعٍ عرضي عبرَ الوجهِ الشمالي مما أكسَبَها ارتفاعاً. مرض سومرفيل ولم يعدْ قادراً على الاستمرارِ فكافحَ نورتون بمفردِهِ الى أن وَصَلَ الى ارتفاع ٨٥٦٠ م (وهو ارتفاعٌ لم يتجاوزْهُ أحدٌ حتى عام ١٩٥٢. وكتبَ سومرفيل فيما بعدُ في مذكراته: «يشعرُ المرءُ أنه فوقَ كلِّ شيءٍ في العالَمِ، وأنه يطلُّ على الدنيا كأنه إلهٌ».

حاولَ جورج لي مالوري وأندرو آيرفين تسلُّقَ القِمّةِ بعدَ ذلك، وكانَ مالوري في السادسةِ

والثلاثين من العمرِ وقد ساهمَ في حملتي عام ١٩٢١ وعام ١٩٢٢، وأما آيرفين فكان في الثانية والعشرين وكانتْ تلكَ أولَ مرّةٍ يحاولُ فيها تسلُّقَ ايفرست.

في ٨ حزيران انطلقَ الشابان من المخيّمِ ٦ وكانَ ن. ي أوديل يراقبُهما من مكانٍ منخفضٍ على الجبلِ، وعندما فقدَ آثارهما بسببِ الضبابِ كانا يتقدمان ببطءٍ نحوَ القمةِ. قدّرَ أوديل أنهما على بعد ٢٠٠ م من القِمَّةِ فتسلّقَ الى المخيم ٦ وانتظرَ، ولكنْ لم يكنْ هناك أيُّ أثر لمالوري وآيرفين، ولم يرَهمَا أحدٌ بعدَ ذلك. ترى هل وَصلا القِمَّةَ؟

يبدو ذلك غيرَ معقولٍ. وبعد تسعِ سنواتٍ وجدَ فأسُ مالوري تحت السلسلةِ الشماليةِ الشرقيةِ. ربّما تعبَ الرجلانِ وسقطَا من فوقِ السلسلةِ وقَضيا نَحْبَهُما. من أينَ لنا أن نعرفَ.؟!



ما زال مصيرُ مالوري وآيرفين واحداً من أكبرِ أسرارِ تسلُّقِ الجبال.

المعركةُ مستمرةّ

رُغمَ النهايةِ المأساويةِ لحملةِ عام ١٩٢٤ أصرَّ البريطانيونَ على محاولةِ هزيمةِ ايفرست. كانَ الطريقُ الى المضيق الشمالي بسيطاً ومعقولاً. ولكنَّ المرحلةَ الأخيرةَ بصدوعِها الصخريّةِ العنيدةِ كانتْ تشكّلُ تحدياً كبيراً.

قادَ الحملةَ عامَ ١٩٣٣ هوغ روتليدج ووين هاريس و ل. ر. واغر. وعندما وصلتِ الحملةُ الى آرتفاعِ ٢٠ متراً تحتَ السلسلةِ الشماليةِ الشرقيةِ وجدتْ فأسَ مالوري. وقفَ صدعُ الحاجزِ الصخري عقبةً في طريقِ تقدّمِهم وآضطرَّ وين هاريس وواغر الى تحويلِ طريقِهِما عرْضياً عبرَ الوادي الضيِّقِ تحتَ

قدّمتِ الصّورُ الفوتوغرافيةُ التي التُقطتْ لأوّلِ محاولةٍ للطيران فوقَ ايفرست معلوماتٍ قيّمةً عن القمة.



القمة. وكانَ ايريك شيبتون وفرانك سمايث قد وصلا الارتفاع نفسَهُ (حوالي ٨٥٦٠ م) قبلَ أنْ يهيّا حملتَهُا بسبب المرضِ والثّلج المتفدقِم.

وفي نيسان ١٩٣٣ رأى البريطانيونَ قمةَ ايفرست ولكنْ من الطائرةِ فقط، فقد طارتْ طائرتانِ من طرازِ ويستلاند أعدّتَا بشكلٍ خاص، الى ارتفاع ١٠٧٠٠ م وحلّقتا فوقَ ايفرست على ارتفاع ٣٠ م عن سطح القِمّةِ. وبهذا حصلنَا على أوّلِ صورٍ فوتوغرافيةٍ قريبةٍ لقمةِ الجبلِ.

وفي عامِ ١٩٣٤ أقدمَ متسلّقٌ اسمُه موريس ويلسون على المحاولةِ المستحيلةِ بتسلّقِ ايفرست بمفردِهِ وقُتِلَ، ووجدَ المتسلّقونَ البريطانيون جثّتَه في العامِ التالي. كما وجدوا آثارَ أقدامٍ قال الشيربا إنها آثارُ أقدامِ اليتي، وادّعى بعضُ الرهبانِ الذين يعيشون في ديرٍ قريبٍ أنَّ لديهم فروةَ رأسِ اليتي ولكنْ يعتقدُ العلماءُ أنهُ من الأرجحِ أنَّ آثارَ الأقدامِ هي آثارُ أقدامِ دبٍّ، كما ثبتَ أن فروةَ الرأسِ ليستْ سوى جلدِ جافٍّ لظبيٍ جبليٍّ يسمّى السيرو.

فشلتْ حملةُ ايفرست لعام ١٩٣٦ التي قادَها هوغ روتليدج أيضاً بسببِ الرّياحِ الموسمية المبكّرةِ التي حملتْ معها عواصفَ ثلجيةً قويةً. حاولَ فريقٌ انكليزي آخرُ بقيادةِ تيلمان تسلُّقَ ايفرست عامَ ١٩٣٨. وكانتْ حملةً صغيرةً قوامُها سبعةُ متسلّقين. وعلى خلافِ الحملتينِ اللتين سبقتاها.

استعملَ فريقُ تيلمان أجهزةَ تنفّسِ الأكسجين. ونصبَ مخيم ٦ على ارتفاع ٨٣٠٠ م، ولكنَّ الثلجَ الناعمَ العميقَ جعلَ التّقدمَ صعباً، وأثبتتْ أجهزةُ الأكسجين فعّاليّتَها ولكنَّ الطقسَ السّيءَ أجبرَ الحَمْلَةَ على التوقّفِ وبقيتْ ايفرست عَصيّةً.

ادّعى الشيربيونَ أنَّ آثارَ الأقدام هي آثار اليتي الغامض.

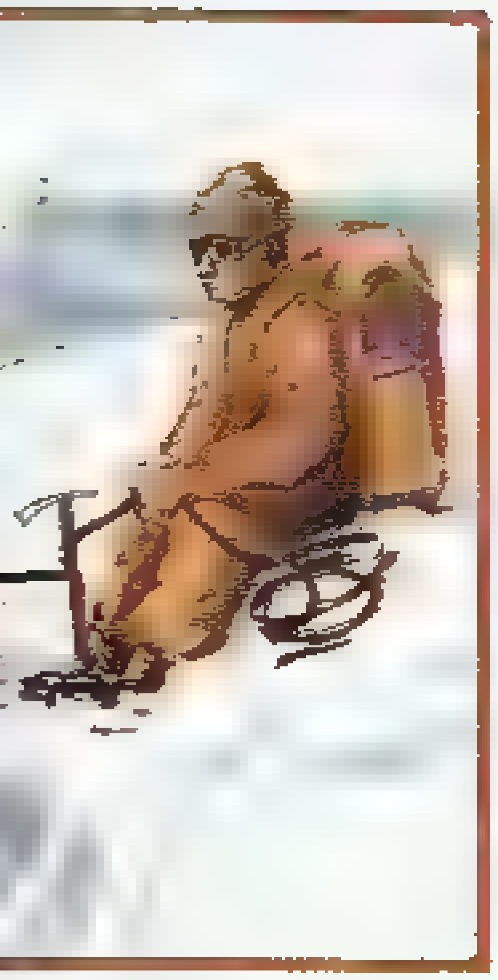


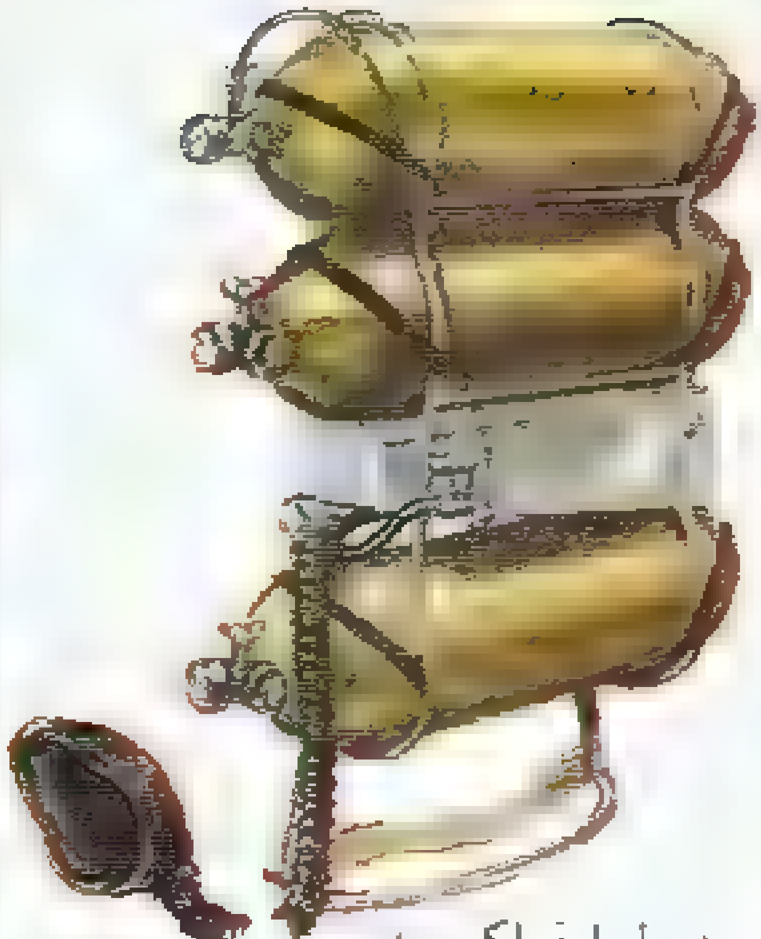


متسلق جبال بمعدات جيدة.

المعدّاتُ

لم يكنْ لَدَى متسلّقي الجبالَ في القرنِ التاسعَ عشرَ سوى معدّاتٍ قليلةٍ غيرِ الحبالِ والعصيِّ الألبية (وهي عصا قويةٌ لها نهايةٌ معدنيةٌ أو كلاّب) وكانوا يعتمدونَ على أقدامِهم الطبيعيّةِ وقبضاتهم، كما كانَ بعضُ المتسلّقينَ الأوائلُ يرتَدُون الخُفَّ المساريَّ في أقدامِهم ليساعدَهم على التثبيتِ بالمنحدراتِ الجليديّةِ. وبتطويرِ أساليبِ المتسلّقينَ





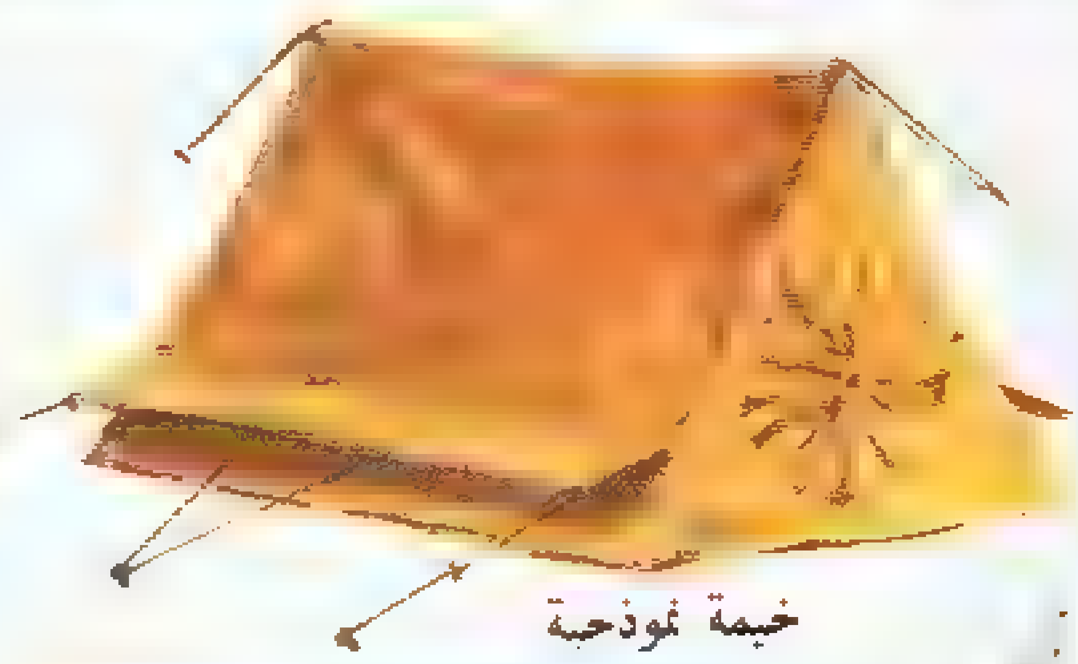
اسطوانة اكسجين

تطورتْ وسائلُ التسلّقِ وأصبحتْ تتضمّنُ مطرقةَ جليدٍ وفأسَ جليدٍ ورزّةً جليديةً وكربيةً وأقفالَ مثبتةً. يتحوّلُ متسلّقُ الجبالَ الآنَ الى طائرٍ بشريٍّ يستطيعُ تسلّقَ وجهِ الصخرِ العاري إذا دقَّ الرزّاتِ في الصَّخرِ وثبّتَ حبالَ التسلّقِ عليها بواسطةِ الأقفالِ المثبتةِ.

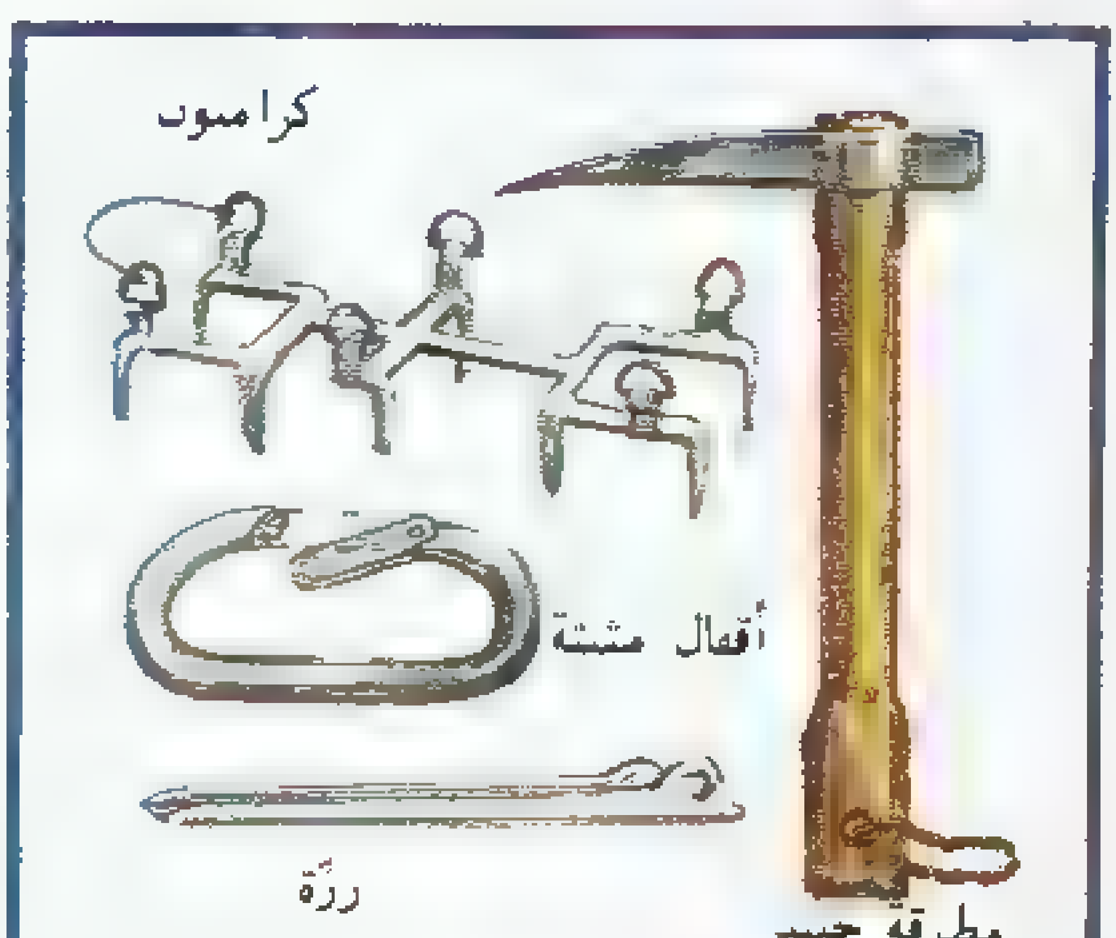
يستطيعُ الإنسانُ إذا ما كَيَّفَ جسمَهُ تدريجياً مع هواءِ الجبلِ الخفيفِ أن يتسلّقَ الى ارتفاعاتٍ شاهقةٍ دونَ أكسيجين. ولكنه لا يستطيعُ أنْ يحملَ أشياءَ ثقيلةً، وتسبّبُ قلّةُ الأكسيجين التعبَ والقياءَ (يعاني معظمُ متسلّقي ايفرست من السُّعالِ والصُّداعِ والتهابِ الحلْقِ حتى في حالِ تأقلُمِهم) وَرَغمَ أنَّ زُجاجاتِ الأكسجين تُشكّلُ حمولةً إضافيةً يتوجبُ على المتسلّقِ حملَها إلاّ أنها تعطي حيويّةً ضروريّةً من أجلِ الجهودِ الأخيرِ. يجب أنْ تكونَ حمولةُ المتسلّقِ أخفَّ ما يمكنُ، كما يحتاجُ المتسلّقونَ الى ملابسَ تمنعُ دخولَ الهواءِ كي يتمكّنوا من مقاومةِ الرياحِ والصقيعِ، بالإضافةِ إلى قفافيزَ وأحذيةٍ ذات عَزْلٍ ومناعةٍ للصقيعِ، ومنظار وقايةٍ للعينين.



بالإضافةِ الى الخيامِ وأجهزة الأكسجين وفؤوسِ الجليدِ والكرامبون والرَّزّاتِ والنّظاراتِ الشمسيةِ وما إليها، يجب أنْ يصطحبَ المتسلّقُ سلالِمَ لعبورِ أيِّ صَدْعٍ عميقٍ في الشلاّلِ الجليدي. ويحتاجُ أعرضُ صَدْعٍ الى ثلاثةِ سلالم خاصَّةٍ بطول ٢ م لتكونَ جسراً للعُبور. ويقومُ المتسلّقونَ بتثبيتِ بعضهم بعضاً أثناءَ قيامهم بمناورةٍ صعبةٍ مثل عُبور صَدْعٍ. فإذا انزلقَ أحدُهم يحملُه الحبلُ الذي ربطَه رفاقَه حولَ الفؤوسِ المثبتةِ داخلَ الجليدِ. لم تفشل المحاولاتُ الأولى لتسلّقِ ايفرست لأنَّ المتسلّقينَ كانتْ تعوزُهم الشجاعةُ أو المقدرةُ، ولكنْ لأنَّ الفِرَقَ التي وصلتِ القمةَ النهائيةَ لم تكنْ مدعمةً بالإمداداتِ الكافيةِ وكانَ الاعتمادُ الرئيسيُّ على المتسلّقِ المنهكِ القوى. وشعرَ المتسلّقونَ بضرورةِ العنايةِ برسمِ مخطّطِ سيرهم، وكانَ النّجاحُ في تسلّقِ ايفرست يعتمدُ على اختيارِ المعدّاتِ المناسبةِ وعلى تنظيمِ الامدادِ وعلى التأكّدِ من أنَّ كلَّ مخيمٍ يحصلُ على إمداداتِه بشكلٍ كاملٍ. ثمّ إذا لم يتغير الطقسُ يجب أن تنتقيَ الحملةُ أكثرَ رجالِها قوةً ومقدرةً لتسلّقِ الجبلِ ووصولِ القمّةِ.


خيمة نموذجية


فأس جليد







اختيار هام وتدريب
في ثيانغبوش

١٩٥٣ : الخطّةُ

حالتِ الحربُ العالميةُ الثانيةُ دونَ الاستمرارِ في حملاتِ الهملايا. وبعدَ عامِ ١٩٤٩ أوقفَ احتلالُ الصينِ للتيبت المتسلّقينَ عن العودةِ الى الطرقاتِ التي استُعملتْ في العشريناتِ والثلاثيناتِ من هذا القرن، إلاّ أنَّ نيبال فتحتْ حدودَها، وفي عام ١٩٥١ بحثَ البريطانيونَ عن طريقٍ جديدةٍ جنوبيّةٍ تؤدّي الى مَجْلَدةِ خومبو. وكان ادموند هيلاري، وهو مربّي نحلٍ من نيوزيلاندا، بينَ المتسلّقين.

وفي عام ١٩٥٢ استطاعتْ حملةٌ سويسريّةٌ التغلّبَ على الشلاّل الجليدي وشقّتْ طريقَها عبرَ الكم الغربي الى وجهِ لوتسي ومنها نحوَ المضيقِ الجنوبي.

وكان تينزينغ نورغاي زعيمَ الشيربا إذْ ذاك، واستطاعَ برفقةِ المتسلّقِ السويسري ريموند لامبرت أنْ يصلَ الى أعلى ارتفاعٍ وصلَه إنسانٌ حتى ذلك الوقتِ، وهو ٨٦٠٠ م قبلَ أن يضطرَّ السويسري الى العودة الى القاعدةِ بسبب الطقسِ السيء.

تحمّسَ البريطانيونَ لهذه النتيجةِ التي قاربتْ على تحقيقِ النجاحِ، فنظّموا حملةً جديدةً في عام ١٩٥٣ واتّجهوا نحوَ الهملايا بمعداتِ أكسجين متطورةٍ، ورسمُوا خطةَ حملتهم بعنايةٍ فائقةٍ. كان قائدَ الحملةِ جون هنت، واختارَ ادموند هيلاري وتينزينغ نورغاي في فريقه. اصطحبتِ الحملةُ نوعين من أجهزةِ الأكسجين: الأول بدارةٍ مفتوحةٍ والثاني بدارة مغلقةٍ. كانتِ الأجهزةَ ذاتُ الدارةِ المفتوحةِ تعطي المتسلّقَ مزيجاً من الهواءِ العادي والاكسجين، وأما الأجهزةَ ذاتُ الدارةِ المغلقةِ فكانتْ تمدُّهُ بالأكسجين الصافي الذي يُعادُ بعضُهُ إلى الاسطوانةِ وبذلكَ تكفي فترةً أطولَ.

وقامَ ٣٥٠ حمّالاً بنقلِ مخازنِ الحملةِ ومعدّاتها من كاتماندو عاصمةِ نيبال الى ثيانغبوش، وكانتْ تلكَ البقعةُ الجميلةُ التي تقعُ على ارتفاعِ ٣٦٦٠ م وفيها ديرٌ بوذيٌّ قديمٌ أوّلَ مخيمٍ رئيسيٍّ للحملةِ.

واختيرَ ستةٌ من بينِ الشيربيينَ الخمسةِ والثلاثينَ الذينَ سيعملونَ في المناطقِ المرتفعةِ لينضمّوا الى فريقِ الهجومِ، وكانَ تينزينغ بينَهم. كان في التاسعةِ والثلاثينَ وقد سبقَ له أن تسلّقَ جبلَ ايفرست ستَّ مراتٍ.

غادرَ المتسلّقونَ ثيانغبوش في نيسان ١٩٥٣ ليقضُوا ثلاثةَ أسابيعَ من التدريبِ في الجبالِ القريبةِ، ثم بدأَ العملُ في نقلِ المخازنِ نحوَ الشلاّل الجليدي خومبو، وفي بناءِ مخيّمٍ رئيسيٍّ ثم مخيّمي ٢ و٣. وهنا بدأتِ الصّعابُ الحقيقيّةُ.



الهجوم

انطلقَ المتسلّقونَ على الشّلالِ الجليدي خومبو، وكانوا يُعلّمونَ الطريقَ بأعلامٍ أثناء تقدمهم. وكثيراً ما كانتْ تلكَ الأعلامُ تختفي بينَ عشيةٍ وضحاها عندَ سقوطِ القِطَعِ الثّلجيةِ الكبيرةِ وظهورِ صَدْعٍ آخرَ. كانَ الكثيرُ من الصدوعِ عريضاً لا يمكنُ القفزُ فوقَه، فكانَ المتسلّقونَ يستعملونَ سلالمَ معدنيةً متنقلةً، يزحفُ المتسلّقونَ والشيرپيون فوقَها على أيديهم وأرجلِهم.

اضطرَّ بورديلون وايفانس الى الانسحاب من محاولةِ تسلّقِ القِمّةِ وجاء بعدهُما هيلاري وتينزينغ، وكانتْ خيمةُ الهجومِ الصغيرةُ التي نصَباها تحتَ القمّةِ ضيّقةً وغيرَ مريحةٍ ولكنَّ المنظرَ الذي أطلاّ عليه عَبْرَ الهملايا كانَ أخّاذاً.

كانتِ الأحذيةُ المساريةُ والكلاّباتُ والفؤوسُ ضروريةً، وكثيراً ما كان الحمّالونَ المتعبونَ يحتاجونَ الى حبالٍ يدويةٍ تساعدُهم على التقدمِ بينَ الجلاميدِ الثلجيةِ المنهارة. وعندما بدأوا بتسلّقِ الكم الغربي أصبحَ تقدّمُهم أفضلَ.

وخلالَ شهرِ أيّار كانتْ جماعاتُ المتسلّقين تتنقّلُ من مخيمٍ الى آخرَ تحملُ المؤنَ والمعداتِ. ونُصبَ المخيانِ ٤ و٥ على الكم. بينما نُصبَ المخيان ٦ و٧ على وجهِ لوتسي المنحدرِ. وهناكَ وجدُوا ما تبقّى من الخيامِ التي ذرّتْها الرياحُ، وأسطواناتِ الأكسجين والمعلّباتِ التي خلّفَها السويسريونَ وراءهم.

كانتِ الحملةُ تستعملُ خياماً كبيرةً هَرَميةَ الشكلِ تحتَ وجهِ لوتسي. ولكنْ في المخيمات الأكثرِ آرتفاعاً كانَ الرجالُ ينامونَ في خيامٍ طوليةٍ تتّسعُ لشخصين. ويمكنُ وصلُ الخيامِ ببعضِها عن طريقِ مدخلِها الجانبي، وكانَ الرجالُ يرتدونَ بذلاتٍ من القطنِ والنايلون مقاومةً للرّيحِ فوقَ معطفٍ داخليّ، بالإضافةِ الى ثلاثةِ أزواجٍ من القفافيزِ وحذاءٍ خاصٍ بالمرتفعاتِ له حوافٌّ من الأليافِ ومزوّدٌ بطبقةٍ خارجيةٍ تمنعُ تبلّلَهُ بالماء.

وكان المتسلّقون يطهُون طعامَهم فوقَ مدافيءَ بتروليةٍ أو غازيةٍ وهم داخلَ أكياسِ نومهم الدافئةِ، وكانَ عشاءُ ايفرست يتألّفُ من كوبِ حساءٍ وقطعةِ لحمٍ معلّبٍ وفطيرةِ كلية وفطيرةِ فاكهةٍ مع الشاي أو القهوةِ أو شراب الليمون.

تقدمتْ مجموعاتُ الهجومِ من المخيّمِ ٤ الذي كان على ارتفاعِ ٦٤٧٠ م وكانَ يسمّى مخيّمَ القاعدةِ المتقدّم. وشقُّوا طريقَهم نحو المضيقِ الجنوبي الذي يقعُ على مسيرةِ ثلاثةِ أيامٍ بعدَ المخيمات ٥ و٦ و٧، وبعدَ المخيّمِ ٨ على المضيقِ الجنوبي سيبنَى مخيّمُ هجومٍ نهائي هو المخيّمُ ٩ على ارتفاعِ ٨٥٠٠ م على السلسلةِ الجنوبيّةِ الشرقيةِ. واختيرَ توم بورديللون وتشارلز ايفانز ليقوما بأوّل محاولةٍ لتسلّقِ القمّةِ، وتقرّرَ أنْ ينطلقا من المضيقِ الجنوبي ويستعملا أجهزةَ تنفّسٍ مغلقةَ الدارةِ. بينما يستعملُ هيلاري وتينزينغ نظامَ الدارةِ المفتوحةِ ويقضيانِ ليلة في المخيم ٩ في أعلى السلسلةِ نفسها. وهناكَ يبدلان زجاجاتِ الأكسجين قبلَ أن يتّجها نحوَ القمةِ.

كانَ الطقسُ جيداً رَغمَ الرّياحِ التي لم تتوقفْ. وفي ٢٦ أيار تسلّقَ بورديللون وايفانس القمّةَ الجنوبيةَ ووصلاَ آرتفاعاً لم يَصِلْهُ إنسانٌ قبلَهما ولكنهما لم يتمكّنَا من الاستمرارِ لأنهما تأخّرا في الإنطلاقِ بسببِ عطلٍ في أجهزةِ الاكسجين. لذا عادا أدراجهما، ، وجاء دور هيلاري وتينزينغ.

طريق عام ١٩٥٣ يؤدي الكم الغربي الطويل الى المنحدر الجليدي ووجهِ لوتسي. وتبرزُ وراءهما السلسلةُ الجنوبيةُ الشرقيةُ والمضيقُ الجنوبي.



النصرُ

ففي ٢٨ أيار ١٩٥٣ تحرّكَ هيلاري وتينزينغ من المخيّم ٩، وكانا صديقين حميمين. تعلّم هيلاري (٣٣ سنة) تسلّقَ الجبالِ في الالب النيوزيلاندية، وكان تينزينغ (٣٩ عاماً) قد هربَ من قريتهِ في نيبال ليصبحَ متسلّقَ جبالٍ. أمضى الصديقانِ ليلةً غيرَ مريحةٍ كانتِ الريحُ شديدةً لدرجةِ اضطرَّ هيلاري الى ربطِ قدمهِ بعمودِ الخيمةِ كي لا تطيرَ. وفي الساعةِ السادسةِ والنصفِ من يوم ٢٩ أيار انطلقَ المتسلّقان بعدَ أن تناولا طعامَ الإفطارِ المؤلّفِ من السردينِ والبسكويتِ وعصيرِ الليمون. انطلق هيلاري في المقدمةِ بمحاذاةِ السلسلةِ نحوَ القمّةِ الجنوبيّةِ تاركاً وراءَهُ آخرَ خطٍّ وطئتهُ قدمٌ بشريةٌ، كانَ يرى الى يمينه ضفافاً ثلجيةً ضخمةً تتحلّقُ حولَ نقطةٍ واحدةٍ. وتحتَ المنحدرِ نحوَ اليسارِ يرتفعُ الجدارُ الصخريُّ العظيمُ الذي يبرزُ من الكمِ الغربي الذي أصبحَ تحتها.

كانَ هيلاري وتينزينغ يحفرانِ أمكنةً لاقدامِهما بواسطةِ فؤوس الجليدِ ويتقدمان. واضطرّا الى الدورانِ حولَ صخرةٍ ثم تابعا مسيرتَهُما الشاقة فاجتازا صَدْعاً. مرّتِ العقبةُ الأخيرةُ تلكَ بسلامٍ، ولمّا حفرَ هيلاري عدةَ خطواتٍ أخرى رأى السلسلةَ تنحدرُ أمامَه. لقد وصلا القمةَ. وكانتِ الساعةُ الحاديةَ عشرةَ والنصف. وقفَ هيلاري وتينزينغ ٢٥ دقيقةً على قمةِ العالَم، والتقطَ هيلاري عدةَ صورٍ فوتوغرافيةٍ للمنظر المذهلِ، بينما وضعَ تينزينغ بعضَ الشوكولاته والبسكويت والسكاكر قرباناً للآلهةِ. وحينَ وقفَ مبتسماً أمامَ كاميرا هيلاري كانتْ أعلامُ الأمم المتحدةِ وبريطانيا ونيبال والهند ترفرفُ على ذراعِ فأسِه. وعندما عادَا منهكَينِ الى المضيقِ الجنوبي قابلَهُما فريقُ الإمدادِ وسرعانَ ما انتشرتِ الأخبارُ بالراديو عبرَ العالَمِ. كانَ كاهنُ ثيانغبوش مهذباً عندَ سماعهِ الاخبارَ رَغمَ أنه لم يصدقْها وهنّأ هيلاري وتينزينغ على: «اقترابِهما من قمةِ كومولونغما»







استسلامُ ايڤرست

لا يتوقفُ تاريخُ ايڤرست عندَ عامِ ١٩٥٣، فقد وصلَ القمةَ في عامِ ١٩٥٦ فريقٌ من السويسريينَ عن طريقِ شلاّلِ جليد خومبو. وفي عام ١٩٦٠ أعلنتْ بعثةٌ صينيةٌ أنها تسلّقتْ ايڤرست عن طريقِ السلسلةِ الشماليةِ الشرقيةِ المشهورةِ وقد كانَ زعمُهم مثارَ جدالِ المتسلّقينَ الهنودِ الذين قاموا بمحاولةِ

أربع طرقات ناجحة الى قمة ايفرست الطريق الصينية (مخططة بالأحمر) وتصل القمة عن طريق السلسلة الشمالية. أما الاميركيون فهزموا السلسلة الغربية (الأخضر) بينما اتخذ اليابانيون طريقاً جديدة عبر وجه لوتسي والمضيق الجنوبي (برتقالي). وأما الانكليز (أزرق) فتسلقوا الجدار الجليدي الخطر للوجه الجنوبي الغربي (الى اليمين).





لتسلّق القمةِ (عن طريق ١٩٥٣) في اليوم نفسِه واضطرَّ الهنودُ إلى العودةِ بسببِ الأحوالِ الجويّة السيّئة. وفي عامِ ١٩٦٣ حاولتْ بعثةٌ أميركيةٌ ضخمةٌ تسلّقَ الجبلِ، وكانَ أحدُ أهدافها دراسةَ أثر ضغط الارتفاعِ العالي من أجلِ برنامجِ الولايات المتحدةِ الأميركيةِ للفضاء. وصلَ ثمانيةُ متسلّقينَ (بما فيهم ابن أخِ تينزينغ) القمة، وقد طرقَ اثنانِ منهم طريقاً جديدةً تمرُّ فوقَ السلسلةِ الغربيةِ.

حاولَ الهنودُ مجدداً في عام ١٩٦٢، وأخيراً تمكنوا من التغلّب على ايفرست في عامِ ١٩٦٥ وفي عام ١٩٧٠ تسلّقتِ القِمّةَ بعثةٌ يابانيةٌ اصطحبتْ معها أوّلَ امرأةٍ تتحدّى القمةَ.. وتسلّقوا عن طريق المضيق الجنوبي. هُزمتْ خمسُ بعثاتٍ أمامَ الوجهِ الجنوبِي الغربي قبلَ أن تتسلّقه بعثةٌ بريطانيةٌ يقودُها كريس بونينغتون في عام ١٩٧٥ . وقبلَ وصولِ القمةِ أمضى دوغال هاستون ودوغ سكوت ليلةً في معسكرٍ مؤقتٍ صغيرٍ على القمةِ الجنوبيةِ نفسِها. والآنَ تتبعُ البعثاتُ الى ايفرست طريقةَ عام ١٩٥٣ نفسها، حيثُ تدرسُ تفاصيلُ الهجومِ بشكلٍ مسبقٍ. وقد استعملتْ بعثةُ الوجهِ الجنوبِي الغربي عام ١٩٧٥ الكومبيوتر ليساعدَ في رسمِ الخطةِ. ولكنَّ ذلك لم يمنعْ حدوثَ المأساةِ، حيثُ قُتل مايك بورك أثناء محاولتِه الوصولَ الى القمةِ بمفردهِ بعدَ أن نفذَ الأكسجين الذي مع صديقه واضطرَّ الى العودة. في عام ١٩٧٥ قامَ أوّلُ فريقٍ نسائي كاملٍ من اليابان بغزو ايفرست. وفي عام ١٩٧٨ ادّعى متسلّقونَ عديدون من سويسرا والنمسا والمانيا أنهم وصلوا القِمةَ دون استعمالِ الاكسجين في المرحلةِ الأخيرةِ.

تم تسلّقَ قمةَ ايفرست العديد من المراتِ حتى الآنَ، ورغمَ ذلك ما زالتْ صفوفٌ من البَعثاتِ تنتظرُ دورَها لتختبرَ كفاءتَها أمامَ « أمِّ آلهةِ العالم » .

قصّةُ قِمّةِ ايفرست

١٨٥٢ عُيّنَ مكانُ كومولونغما على الخارطةِ.

١٨٦٣ سُمي الجبلُ قمة ايفرست.

١٩٢١ أوّلُ بعثةٍ استكشافيةٍ بقيادةِ ليفتنانت كولونيل هوارد بوري.

١٩٢٢ أوّلُ بعثةٍ بريطانيةٍ تكتشفُ طريقَ السلسلةِ الشماليةِ الشرقيةِ.

١٩٢٤ نورتون يصلُ الى ارتفاعِ ٨٥٦٠ م،موت مالوري وآيرفين.

١٩٣٣ أوّلُ رحلةِ طيرانٍ فوقَ ايفرست بطائرة الليدي هيوستون.

١٩٣٥ بعثةٌ تقصي شيبتون.

١٩٣٦ حملةُ روتليدج الثانية.

١٩٣٨ حملةُ تيلمان.

١٩٥١ تشيبتون يكتشفُ طريقاً جديدةً الى المضيقِ الجنوبي.

١٩٥٢ السويسريون يكادون يصلون القمةَ.

١٩٥٣ نجاحُ هيلاري وتينزينغ نوغاي.

١٩٦٣ أوّلُ أميركيين يصعدان عن طريقِ السلسلةِ الغربيةِ ويهبطانِ عن طريقِ المضيقِ الجنوبي.

١٩٧٥ أوّلُ صعُودٍ عن طريقِ الوجهِ الجنوبي الغربي. أوّلُ فريقٍ نسائي يتسلقُ القمةَ.

أعلى عشر قِمم

تقع أعلى قِمَم العالَم في جبالِ الهملايا
ضِمنَ أراضي نيبال وسيكيم والتيبت وجامو
كشمير. وهذه أهمُّ المعلوماتِ الاحصائيةِ عنها:

الجبل	الارتفاع(م)	أول من تسلقها	التاريخ
ايفرست	٨٨٤٨	بريطانيا/الكومنويلث	١٩٥٣
كي ٢	٨٦١١	ايطاليا	١٩٥٤
كانشينجونغا	٨٥٩٥	بريطانيا	١٩٥٥
لوتسي	٨٥١١	سويسرا	١٩٥٦
ماكالو	٨٤٨١	فرنسا	١٩٥٥
دولاغيري	٨١٧٢	سويسرا	١٩٦٠
مانا سلو	٨١٥٦	اليابان	١٩٥٦
تشو أويو	٨١٥٣	النمسا	١٩٥٤
نانغا باربات	٨١٢٦	النمسا/ ألمانيا	١٩٥٣
أنا بورنا	٨٠٧٨	فرنسا	١٩٥٠



دار المسيرة
للصحافة والطباعة والنشر
بيروت